رواية سيدات زحل للطفية الدليمي دراسة سوسيولوجية وفقا نظرية لوسيان غولدمن

The Novel of the Ladies of Saturn by Lutfia Al-Dulaimi, a sociological study according to Lucien Goldman's theory

أ.د. نعيم عموري(الكاتب المسؤول)
ط. د/ سكينة عبدالله خسرجي

قسم اللغة العربية و آدابها -جامعة شهيد تشمران اهواز-اهواز-ايران

n.amouri@scu.ac.ir
s.khasragi@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/11/08 تاريخ القبول: 2022/01/02 تاريخ النشر: 2022/03/15

الملخص

الدراسة السوسيولوجية تسعى الى كشف العادات او السياسة و الأخلاق أو خطة اصلاح اجتماعي في العمل الأدبي و تعتبر من الأساليب الجديدة لتحليل النصوص الادبية و خاصة في مجال الرواية. فهى التجربة التي يعبر عنها الكاتب و يشاركه فيها افراد من طبقته الإجتماعية. رواية سيدات زحل للروائية العراقية لطفية الدليمي مجاراة حقيقية لما مرت به بلادها المضطهدة من آلام خلال سنوات الحصار و الاحتلال الامريكي للعراق من ضياع و عدم الاستقرار و قتل و تهجير و ارهاب و طائفية. تتميز هذه الرواية بتجسيد فجائع النساء الشقيات اللواتي سحقن تحت اعقاب الحروب و نظم الاستبداد و الظلامية الاجتماعية و ما حدث لهن من تهديدات و قتل و اغتصاب و اختطاف من قبل جنود الاحتلال و المسلحين المتطرفين و الرجال المتشددين و مسلحوا المليشيات و التكفيريون و قطاع الطرق و اللصوص على اختلاف انواعهم داخل السلطة و خارجها فكان هؤلاء اشد وطأة عليهن من جنود الاحتلال مما ادى الى هروبهن من بغداد و الإلتجاء الى الدول المجاورة. يهدف البحث الى النقد الإجتماعي بناءاً علي نظرية لوسيان غولدمان السوسيولوجية و كشف رؤية الكاتبة في ظل المنهج الوصفي . التحليلي و طبقتها الاجتماعية في عملها الادبي. هذه الرواية تدورحول الحرب و ما خلفته من آثار اجتماعية و نفسية مؤلمة و متجذرة و كذلك قضايا

المـــــراة و مـــــا أصـــــابتها مـــــن فجـــــائع فـــــي حقبتـــــي الاســـــتبداد و الحصـــــار.
الكلمات المفتاحية: السوسيولوجية، الرواية، سيدات زحل، لطفية الدليمي، النساء، الحرب.

Abstract
Sociological studies attempt to discover the habits, politics and ethics or to reveal the map of social reforms in a literary work and are one of the modern means in the analysis of literary texts, particularly novels. Because it is an experience expressed by the author and shared by people of the same social class as hers. *Ladies of Saturn*, a novel by Iraqi writer Lutfia Al-Dulaimi depicts a real image of the pains that her country endured during the years of siege and occupation by the United States. An image of lost, instability, murder, emigration, terrorism and sectarianism. This novel shows the plight of miserable women who have suffered in wars and by occupiers and different kinds of extremist armed people, strict men, paramilitary forces, Takfiris, bandits, and thieves both inside and outside of their country. The destruction caused by these groups is considerably more severe than that of the occupying soldiers, to the point that it forced them to flee Bagdad and seek refuge in neighboring countries. This study provides a social critique of the novel based on the sociological theory of Lucien Goldmann, and uses the descriptive analytical method to find the point of view of the writer and her social class through this literary work. The themes of this novel include war and its painful deep-rooted social and psychological devastating consequences, as well as issues related to women and their sufferings during two periods of tyranny and wartime siege.

Keywords: sociology, Novel, Lutfia Al-Dolaimi, Women, War.

المقدمة

يهدف هذا البحث الى الدراسة العلمية السوسيولوجية في رواية سيدات زحل بناءاً على نظرية غولدمن و تسليط الضوء على معضلات المجتمع العراقي و ما واجه من معاناة طيلة الحروب الديكتاتورية التي شنها النظام السابق على دول الجوار و كذلك الأزمات البشرية في زمن الاحتلال الامريكي و فترة الحصار.. تتجنب هذه الدراسة عن الرؤية السوسيو_ نصية التي لا تقبل التفسير الا عبر دراسة داخلية ترفض كل اشكال الإعتماد على المرجع الخارجي. تعد رواية سيدات زحل للكاتبة العراقية لطفية الدليمي افضل مدونة سردية عن احوال العراق في سنواته المأساوية الماضية فالكاتبة عرضت الشخصية الرئيسية برؤية انثوية مما حدث لها و لأسرتها من تجارب

مروعة و مذهلة فقد تعرضن للإغتصاب و القتل و التهديد من قبل الجماعات المسلحة و الميليشيات و الأمريكان و النظام المستبد السابق و كان المسلحون و المتشددون اشد وطأة عليهن من غيرهم. حدثت لهن هذه المعاناة و المعضلات المرهبة جراء الحرب شبه الاهلية و ما سبقهم من حكم مستبد افرغ المجتمع من اهدافه الانسانية و الثقافية. لقد دمرت هذه الحروب شتى مناحي حياة الإنسان من قيم اخلاقية و ثقافة و تراث و خلفت اقصى الاختلالات في البنية الاجتماعية و النفسية و الفكرية. الكاتبة تدين الحرب فهي وإن كانت تسميتها مؤنثة لكنها ذكورية الطابع و مع ذلك الروائية لا تحكم على الرجال بحكم واحد تنحاز فيه الى جنسها فمنهم من يضرم نيران الحرب بثمن الإستهانة بالحياة ليصبح بطلا بآلاف الضحايا و شرف النساء و حياة الاطفال و الشيوخ و منهم من يسعى لإعادة الحياة الطيبة و استتباب الأمن. و ترى الكاتبة ان منذ تأسيس مدينة بغداد على يد ابي جعفر المنصور اصبح تاريخها بين النار و الرماد لأنه بشعل النار فيها تنبأ أن تكون مدينة حرب و احتراق و قتل ثم رؤية مهندسه ابن ارطأة الذي رسم خطتها على جلد الغزال و رشها بالرماد تنبأ أن تكون نهايتها هكذا.علم اجتماع الادب يرمي الى دراسة الظاهرة الأدبية كظاهرة اجتماعية فالمجتمع هو مصدر الاعمال الادبية و الأدب ليس نتاج فردي بل من ضروب الإنتاج الجماعي فالعلاقة بين الأدب و المجتمع علاقة تأثير و تأثر[1]. و من اهم مؤسسي هذا التوجه كارل ماكس يرى اصحاب هذا التوجه ان الادب تعبير عن محصلة عوامل مختلفة في مقدمة هذه العوامل العامل الاقتصادي الذي يعتبر العامل المحدد للواقع الاجتماعي و هذا الواقع الاجتماعي بدوره هو الذي يحدد وعي الناس و قد حاول ماركس اعطاؤنا تفسيرا موضوعيا للعلاقة بين الادب و المجتمع إذ الكاتب يعبر بوعي او بغير وعي عن وجهة نظر الطبقة التي ينتمي اليها[2]. و من ابرز منظري علم اجتماع الأدب هو الفيلسوف و الناقد المفكر الماركسي جورج لوكاتش الذي قدم نظرية البنوية التكوينية و التي طورها لوسيان غولدمان من بعده. المقصود في علم اجتماع الرواية الذي طوره غولدمان شرح الفجوة الروائية بين الذات و الموضوع. بين الوعي اي النفسية و العالم في سياق اجتماعي (مادي- جدلي) و يسعى غولدمان انطلاقا من نقد الاقتصاد السياسي لماركس القائل بأن المجتمع الراسمالي تحكمه قيمة التبادل الى إثبات ان الصفة الاشكالية للبطل الروائي يمكن شرحها في ضوء واقع ثقافي فاسد: في ضوء تدهور جميع القيم المادية و الاخلاقية و الجمالية و المعرفية بفعل قوانين السوق[3]. ان الدراسات الاجتماعية حول الرواية اكثر بكثير من التحليلات الاجتماعية النقدية للنصوص الشعرية و تمثل الرواية بعكس الشعر الغنائي الذي كثيرا ما يتجه الى العالم نفسه او الى اللغة نفسها، مواقف و افعالا اجتماعية و تاريخية. انها تجمع وصف الحياة النفسية الداخلية للفرد ليس فقط بتصوير الأوساط الإجتماعية بل أيضاً بتحليلات اجتماعية لهذه الأوساط[4]. و يسعى غولدمان لربط تراجيديات راسين بمصالح جماعية و ينطلق من فكرة ان

مفهوم الوعى الجماعي يجب أن يلعب دوراً هاماً في علم اجتماع الادب و أن التطور الأدبي لا تشرحه بطريقة مناسبة نظرية تتوجه فقط الى الفرد دون ان تعطي اعتبار للظواهر الجماعية فهو يسعى الى فهم مسرح راسين و تطوره في ضوء المفهوم الماركسي للطبقة. و يعتمد النقد الإجتماعي لدراسة الأعمال الأدبية على نظريات علم الإجتماع . يبحث المنهج الاجتماعي عما يشترك فيه الكاتب مع افراد طبقته الاجتماعية و التجربة التي يعبر عنها يشاركه فيها افراد اخرون و محتوى عمله ينهض على ملاحظة التصرف الانساني. و يعتقد لوكاتش: انه منهج بسيط جداً يتكون اولا و قبل اي شيء من دراسة الأسس الإجتماعية الواقعية بعناية[5]. إن الاهتمام بالشخصية في العمل الروائي و تجسيدها في ابعادها الانسانية و الواقعية من ابرز القضايا التي نوه بها النقاد في دراساتهم النظرية او الممارسات التطبيقية. الكاتبة ركزت على الشخصية اكثر من باقي العناصر الروائية الاخرى و عالجت في روايتها سيدات زحل قضايا المرأة و ما عرض لها من اضطهاد و تنكيل ليس فقط بسبب الحروب بل قضايا اجتماعية اخرى اثقلت كاهلها اضافة الى فجائح الحروب. هدف البحث كشف رؤية الكاتبة و طبقتها الاجتماعية في روايتها من خلال العالم الخارجي و السياق الثقافي من خلال البنيوية التكوينية الغولدمانية.

اسئلة البحث

1.ما هي آليات سوسيولوجية غولدمان في رواية سيدات زحل؟
2. ما الرابط بين تسمية الرواية و الشخصيات؟

فرضيات البحث

1. عالجت الكاتبة الواقع المرير برؤيتها الأنثوية و براعتها في الصوغ السردي و كشفت عن الحقائق حين قامت الشخصية الرئيسة في الرواية بنشر كراسات سرية ارتسمت فيها الوقائع الإجتماعية المرهبة التي حدثت للنساء.

2. تمكنت رواية سيدات زحل من تجسيد الصراعات الاجتماعية و الواقع المخزي الفجيع الذي مر به المجتمع و استخدمت الكاتبة العناصر الروائية كالفئات الاجتماعية و الشخصيات الحكائية للتعبير عن مشاكل المجتمع بغية تغيير حياة المجتمع كيفياً و جعله اكثر انسانية و الحصول على الحل و ارشاد الشعب.
3. تسمية سيدات زحل يرمز الى الخوف و الموت لأن زحل قد عرف بالنحس الاكبر و بعده

عن الارض و يرتبط العنوان بمعاناة النساء في فترة الحرب من تهديد و قتل و اغتصاب.

خلفية البحث

من خلال البحث في المواقع الإلكترونية و المصادر العلمية لم نجد بحثاً علمياً حول رواية سيدات زحل و لذلك يتسم هذا البحث بالجدة لكن هناك دراسات كثيرة تناولت السوسيولوجيا في اعمال الأدباء شعراً و نثراً و قد استفدنا منها نحو: دراسة الدكتور نعيم عموري المعنونة بـ« سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب للأديبة القطرية أمينة العمادي على ضوء نظرية لوسيان غولدمان» و كذلك دراسة الباحثة خاطرة احمدي و آخرين بمجلة اللغة العربية و آدابها المعنونة بـ« سوسيولوجية في رواية ذات لصنع الله ابراهيم» و دراسة نعيم عموري و زهرا سياحي المعنونة بـ«سوسيولوجية في رواية الرهينة لإميلي نصرالله» و دراسة الدكتور رسول بلاوي المعنونةبـ«سوسيولوجية فى مجموعة نوبات شعرية للدكتور صالح الطائي» و دراسة الباحث جمال غافلي و آخرين بمجلة كلية التربية جامعة واسط المعنونة بـ«سوسيولوجيا الأدب في اشعار الدكتور صالح الطائي».

قراءة في رواية سيدات زحل

تدور رواية سيدات زحل حول امرأة اسمها حياة البابلي وصديقاتها و عائلتها و ما جرى لهن من احداث ايام الحصار الأمريكي و كذلك في زمن النظام السابق. حياة امرأة في التاسعة و الثلاثين من عمرها، طلقها زوجها حازم بعدما رجع من سجن النظام و تم تعقيمه فأصبح محبطا و منهار. فقدت حياة ذاكرتها بسبب الإرهاق و الخوف من الإنفجارات المتتالية و هى بعدما مات والديها و إخوتها عاشت فترة الحصار في سرداب بيت والدها القابع تحت البيت. و اطلقت عليه الكاتبة اسم سرداب الرؤيا كان هذا السرداب مخبأ الشيخ قيدار عم حياة حين لاحقوه بتهم تتعلق بالجمعية السرية التي أسسها و كان هذا السرداب منبع احلامه و فتوحاته الروحانية و هو عاكف على تحقيق مخطوطات تتعلق بتاريخ بغداد. قد اختفى الشيخ قيدار بعدما اختطفت زوجته و كانت حياة تبحث عنه. وصفت الكاتبة الشارع الذي يقع فيه بيت حياة و ما فيه من أحداث و انفجارات و قد خصصت احدى كراساتها للسيدة الصحفية الفرنسية التي التجأت في بيت حياة لكنها اختطفت ثم تروي قصة حامد ابو

الطيور الذي كان معلم اللغة الانجليزية لكنهم قطعوا لسانه جراء تهمة الإساءة الي النظام ثم قصة هاني شقيق حياة كان طبيب أسنان ماتت زوجته و بقى وحيدا يعيش مع ابنه و في كراسة غراب قابيل تحدثت الكاتبة عن زواج حياة بحازم و ما جرى لحازم في سجن النظام حيث اضطر على طلاق حياة، بعدما تطلقت حياة من حازم تعرفت على ناجي و أغرمت فيه لكنه كان بعيداً عنها يعيش خارج البلاد، اضطرت حياة على السفر خارج العراق فزارت طنجة و نيقوسيا و التقت هناك بحبيبها ناجي، كذلك لا تخلو الرواية من بعض القصص التاريخية المتعلقة بتاريخ بغداد ترويها الكاتبة عن لسان بطلة الرواية حياة نحو الأحداث التي ترتبط بإنتشار الطاعون و قصة الكراسة الرابعة و العشرون تحت عنوان «مدينة تولد من نار» تروى فيها قصة مهندس الخليفة ابي جعفر المنصور يدعى ابن ارطأة فهو حين رسم خطة بناء مدينة بغداد على جلد الغزال ذر عليها الرماد لتتضح لكن الخليفة غضب عليه و اعتبره طالع نحس للمدينة و بعدما اكتمل بناءها أمر الخليفة أن تجمع أكداس القطن و تشتعل آلاف من كرات القطن المنفوطة على الخطوط المرسومة و تقوم دار السلام من الغيب باللهب، الفصل الثامن من الرواية يحتوي على قصص البنات صديقات حياة ممن تعرضن للإغتصاب و الإعتقال و التهديد و القتل و في نهاية الرواية ترجع حياة الى بغداد بعدما اضطرت على السفر للحصول على لجوء في بلد آخر و كذلك اتصل بها أخوها هاني و طلب منها الرجعة لأنهم إختطفوا ابنه، فرجعت الى بيتها و فجأة رأت عمها الشيخ قيدار و هو جالس في غرفة الضيوف و معه رجل بثياب القساوسة، فرحت كثيراً من رؤية عمها و اقترح هو عليها أن تأتي معه إلى الدير في الجبل الذي التجأ به فيهيأ لها بيت صغير هناك حتى تعيش فيه مع حبيبها ناجي،

الإطار النظري

ما هي البنيوية التكوينية الغولدمانية و اثرها في العمل الأدبي للتعرف على البنوية التكوينة لغولدمان يجب أن نعرف جذورها المتعلقة بالمدرسة الماركسية التي اسسها كارل ماركس في القرن التاسع عشر للميلاد فهو كان يعتقد ان الأدب تعبير عن نتيجة عوامل مختلفة في مقدمتها العامل الاقتصادي، تؤكد الماركسية أن لكل مجتمع بنيتين:

البنية التحتية(الدنيا): يمثلها الناتج المادي المتمثل في البنية الاقتصادية (الانتاج علاقات الانتاج، رأس المال...) البنية الفوقية (العليا): تمثلها النظم الفكرية و السياسية (الدولة،ايديولوجيا، حركات سياسية و فكرية...) المتولد عن البنية الأولى، ما يعني أن البنية الفوقية نتيجة للعلاقات المادية يؤكد ماركس ان البنية التحتية هى التي تحدد البنية الفوقية و اى تغيير في الأولى يؤدي حتما الى تغيير في الثانية[6]. جورج لوكاش واحد من فلاسفة و مفكري الماركسية المعاصرة.. آمن لوكاش بالتطابق بين حركة الفن و حركة الحياة و أنه على المبدع السعي الى تغيير الواقع و يرى بأن الأدب في جوهره هو معرفة بالواقع ناتجة عن رؤية و تحليل و ليس انعكاساً سطحياً لمظاهر الواقع[7]. فكانت كتاباته عن طبيعة و نشأة الرواية المقترنة بنشأة حركة الرأسمالية العالمية و صعود البرجوازية الغربية ظلت افكار لوكاش تتصف بطابعها الفلسفي و المتافزيقي لانها تنبثق من تصور اساسي مفهومه ان دراسة الظواهر الادبية لابد و ان تكون دراسة شاملة لا تقف عند الجزئيات[8] ثم جاء لوسيان غولدمان و ما قام به كان اعادة افكار استاذه لوكاش و ذلك وفق منهج جديد أسماه البنيوية التكوينية. و هى « تصور علمى للحياة الانسانية يرتبط اهم ممثليه على المستوى السيكولوجي بفرويد و على المستوى الايبستيمولوجي بهيغل و ماركس و بياجي و على المستوى التاريخي- السوسيولوجي بهيغل و ماركس و غرامشي و لوكاتش و بالماركسية ذات الالهام اللوكاتشي. و من المسلم به ان هذه الأسماء تشيربالخصوص اساسا الى بعض نقط الاستدلال المهمة و لا تشكل احصاء شاملا. أهم اكتشافات البنيوية التكوينية على المستوى التاريخي و الاجتماعي الذي يشمل الابداع الادبي هو اكتشافها للذات الفوق – فردية (او الجماعية) و للخاصية المبنية لكل سلوك ثقافي ، وجداني او عملي لهذه الذات[9]. ينطلق غولدمان من مجموعة من المبادئ العميقة و المتشابكة التي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية: اولا- يرى غولدمان ان الاعمال الادبية لا تعبر عن الافراد و انما تعبر عن الوعى الطبقي للفئات و المجتمعات المختلفة بمعنى ان الاديب و ان كان فردا لكنه يختزل فيه ضمير الجماعة و رؤية الجماعة التي ينتمي اليها. ثانياً- ان الاعمال الادبية ذاتها تتميز بأبنية كلية و هذه الابنية الدلالية تختلف من عمل لآخر و هو ما يفهم من العمل في اجماله. إن نقطة الاتصال بين البنية الدلالية و الوعي الاجماعي الطبقي هي اهم الحلقات عند غولدمان و التي يطلق عليها مصطلح رؤية العالم فكل عمل

ادبي يتضمن رؤية للعالم ليس العمل الادبي المنفرد فحسب لكن الانتاج الكلي للأديب و لعصر معين و عن طريق رؤية العالم يمكننا ان نرى بشكل صاف كيفية تبلور العلاقة الخلاقة بين الاعمال الابداعية من ناحية و الوقائع الاجتماعية الخارجية من ناحية ثانية[10]. و هذا المسار يقف في طرف نقيض لما يسمى سوسيولوجية المضامين، التي يظهر فيها العمل الادبي كإنعكاس حتمي و آلي للمجتمع و وعيه الجماعي كما يرفض النزعة الشكلانية التي لا تحفل بالجوانب الاجتماعية و التاريخية في النصوص الادبية و بناء على هذا فإن البنيوية التكوينية تركز على الطابع الاجتماعي للابداع غير ان العمل الادبي لا يمثل القيم الفكرية للمجتمع بأكمله بل يتضمن بنية ذهنية لإحدي التصورات الموجودة في الواقع فقط و التي تتبناها فئة دون اخرى و تبقى حرية الكاتب هى بالأساس، عملية تشكيل جمالي[11]. يستلهم صالح سليمان مفهوم رؤية العالم عند غوادمان و يعتبرها نظام التفكير الذي يفرض نفسه في ظروف معينة على مجموعة من الناس الموجودين في ظروف اقتصادية و اجتماعية متماثلة أى على بعض الطبقات الاجتماعية و تتميز رؤيةالعالم بأنها شمولية و هذا حقيقي لأنها تشبه الوعى الجمعي الطبقي و في هذه الناحية يميز غولدمان بين رؤية العالم و الايديولوجيا فلايديولوجيا تكون متحيزة لجانب من الجوانب المشوهة للعلاقات بين الناس و مجتمعهم انها وعي زائف و رؤية العالم في شموليتها قد تتجاوز في بعض الاحيان الإطار الضيق للايديولوجيا[12]. منهج البنيوية التكوينية يجمع بين الشتيتين التوجه الشكلاني و التوجه الماركسي على نحو يرضي الرغبة في الاخلاص للنواحي الشكلية في راسة الأدب مع التخلي عن القيم و الالتزامات الواقعية. جاءت محاولة تبني المنهج البنيوي التكويني كمقاربة تربط بين داخل النص و خارجه مستفيدة من المناهج النقدية الجديدة و متجاوزة اياها الى تفسير البنيات الخارجية في المجتمع[13]. بنية النص في التوجه البنيوي التكويني يركز على الشخصية و ان كان التفاعل بين الشخصيات و عالمهم خيالي و غير حقيقي لكن هذه العلاقة تعكس واقع المجتمع. و كذلك شخصية البطل في البنيوية التكوينية تبحث عن القيم النبيلة في العالم لتجسيد القيم الصحيحة التي آمن بها الكاتب. غولدمان يعتقد ان الرواية تبحث عن القيم النبيلة المتقوضة في عالم متقوض. و من هذا المنطلق للعنوان قيمة أساسية سوسيولوجية_ سيميائية حيث في بعض الدراسات يغفلون العنوان و يرعونه الى دراسات

سـيميائية و الحـال ان العناصـر الأربعـة مرتبطـة ارتباطـاً وثيقـاً بالـدرس السوسـيولوجي: النص> المؤلف> العنوان> البيئة الاجتماعية>

العنوان يفصح عن اسرار النص الادبي فهناك علاقة تكميلية بين العنوان و النص الأدبي[14] اذ يعد العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة و القراءة معاً فتكون للنص بمثابة الرأس من الجسد نظراً لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية و جمالية كبساطة العبارة و كثافة الدلالة، و اخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي[15]. يتم النظر الى العنوان من زاوية سيميائية عبر مستويين اثنين: مستوى خارج النص يهتم بدلالات العنوان و ايحائه بعيدا عن نصه المعنى أن نتتبع دلالاته اما معجميا، او اجتماعياً، فلسفيا او تاريخيا اي النظر الى العنوان باعتباره بنية مستقلة لها استقلالها الدلالي. مستوى داخل النص: يتم النظر فيه الى العنوان باعتباره بنية متضمنة في النص و موحية بمضامينه و ملخصه لأفكاره و هو مستوى تتخطى فيه الانتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة الى العمل و مشتبكة مع دلائليته و محفزة انتاجيتها الخاصة بها بعد هذه العتبة لنعرف اي نوع من الاشكاليات التي يطرحها هذا العنوان[16]. قرابة عنوان النص، تحفز القاريء للبحث عن دلالته و مدى صلته بالنص الروائي؛ و ربما اكثر شيء يحفز القاريء لقراءة الرواية هو جذابية العنوان[17]. فإطلاق عنوان «سيدات زحل» على الرواية يدل على مضمونها الذي يتعلق بمصير النساء المعنيات فيها و ما جرى لهن من طالع نحس. «يعد العنوان نظاما سيميائياً ذا ابعاد دلالية و اخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته و محاولة فك شفرته الرامزة. و من هنا فقد اولى البحث السيميائي جل عنايته لدراسة العنونات في النص الادبي و قد ظهرت بحوث و دراسات سيميائية كثيرة خصصت جزءا كبيرا منها لدراسة العنوان و تحليله من عدة نواح: تركيبية و دلالية و تداولية و آية ذلك أن العنوان هو اول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها بصريا و لسانياً و افقيا و عمودياً»[18] ان العنوان ايا كان عمله يدل بمظهره اللغوي من الصوت الى الدلالة على وضعية لغوية شديدة الافتقار فهو من جهة سياق ذات و هو من جهة ثانية لا يتجاوز حدود الجملة الا نادراً و غالباً ما يكون كلمة او شبه جملة و على الرغم من هذا الافتقار اللغوي فانه ينجح في اقامة اتصال نوعي بين المرسل و المستقبل على قاعدة العمل الذي يعنونه[19].

نبذة عن حياة الكاتبة لطفية الدليمي

ولدت الإعلامية لطيفة الدليمي في عام 1939، في جمهورية العراق، كما أنَّها تنحدر من عائلة تعود أصولها إلى محافظة ديالي، كما درست البكالوريوس في تخصص اللغة العربية من جامعة بغداد، وبعدها دخلت سلك التعليم، حيث قامت بتدريس اللغة العربية في جامعة البصرة. وبدأت الإعلامية لطيفة الدليمي مشوارها الإعلامي، حيث عملت في البداية مع العديد من المجلات منها، مجلة الثقافة الأجنبية العراقية، حيث تولت منصب رئيس التحرير فيها، وبعدها عملت مع مجلة الطليعة الأدبية العراقية، حيث عملت فيها كمحررة للقصص القصيرة الإخبارية، وبعدها قامت بكتابة العديد من المقالات التي تم نشرها في الصحف العراقية والعربية، حيث كان معظمها معني بالثقافة، وبعدها انتقلت للعمل مع مجلة هلا الثقافية، ومن ثمَّ انتقلت للعمل في قناة الشرقية العراقية. وشاركت الإعلامية لطيفة الدليمي في العديد من المسرحيات منها، مسرحية الليالي السومرية، مسرحية قمر أور، مسرحية شبح كلكامش، مسرحية الشبيه الأخير، مسرحية الكرة الحمراء، كما شاركت في تقديم المسلسل تاريخي، والذي يتحدث عن الحضارة البابلية، وبعدها شاركت في كتابة سيناريو بعنوان صدى الحضارة، وبعدها قدمت العديد من الندوات منها: ندوة تتحدث عن التدمير المواقع الثقافية والأثرية، ندوة وسيمنار المتخصصة بعالم الاجتماع، كما شاركت في الندوة المعنية في المنجزات الثقافية، حيث كانت تابعة لمركز شبعاد المتخصص بدراسات حرية المرأة. و أما الأعمال الأدبية للإعلامية لطيفة الدليمي هي عبارة عن: رواية حديقة حياة، رواية ضحكة اليورانيوم، رواية سيدات زحل، قصص مسرات النساء، قصص إذا كنت تحب، رواية عشاق فونوغراف و أزمنة، كتاب بعنوان كوميكس؛ حيث تمت كتابته باللغة الإسبانية، قصص بعنوان برتقال سمية، نصوص بعنوان الساعة سبعون، قصص ما لم يقله الرواة ؛ حيث نشر في الأردن، دراسة بعنوان شريكات المصير الأبدي؛ حيث تناول المرأة العراقية في فترة الحضارات العراقية القديمة، رواية عالم النساء الوحيدات، رواية بذور النار، قصص موسيقى صوفية، رواية من يرث الفردوس، قصص التمثال، رواية بلاد الثلوج؛ حيث تم ترجمتها للغة الإنجليزية، قصص شجرة الكاميليا، رواية ضوء نهار مشرق، كتاب من يوميات

أنا ييس نن؛ كما تم ترجمتها للغة الإنجليزية، كتاب بعنوان حلم غاية ما؛ فهو عبارة كتاب تناولت فيه السيرة الذاتية للكاتب المشهور كولن ولسون، الرواية المعاصرة، الروايات التي أحب؛ حيث كانت تحتوي على مجموعة من الحوارات مع الكتاب العراقيين البارزين[20].

القسم التحليلي

ندرس في هذا القسم القضايا الاجتماعية التي جاءت في رواية سيدات زحل و هى قصص الفوضى و قانون الغابة الذي ساد علي المجتمع العراقي في فترة الحرب و الحصار الامريكي منها: الأسماء و الإحتماء بالهوية المزورة، و الإرهاب و التكفيريون، عنف الدولة الاستبدادية و الزواج بسبب ظروف الحرب، و الخيانة، و ابتزاز النساء، و الفقر و الجهل.

الأسماء و الإحتماء بالهوية المزورة

ان الهوية من أهم و أبسط حقوق المواطن القانونية و الاجتماعية لكنها تشوهت لدى العراقيين بسبب ظروف الحرب القاسية فبدأ الناس يحتمون بهويات مزورة دفاعاً على انفسهم خشية ان يقعوا بيد القتلة و العنف الطائفي لأن كل الطوائف في العراق اصبحت عرضة للقتل. ركزت الكاتبة في الفصل الأول من الرواية على هذه الظاهرة حين تقول عن لسان بطلة القصة حياة: «في بغداد ما عدنا نملك براهين لإثبات من نكون حقيقة فالأسماء ما عادت تدل على معنى أو أحد كل الأنساب عرضة للطعن و كل الأعراق مرصودة لمكائد أعراق و طوائف، أسماؤنا و أوراقنا و وثائقنا و مصائرنا تشابكت و تعقدت أحرقوا بعضها في 1991 و زوروا البعض الآخر، زودا آخرين بأسمائنا في محنة انتحال الهويات الان، و بقينا في التباس الحال حملنا هويات مزورة بعد مخاوفنا لنراوغ القتلة من هذا الفريق أو ذاك، ففي الأعظمية حمل ابن خالي حسن هوية بإسم عمر و انتحل عباس موظف البريد اسم عثمان و في الكرادة كانت هويات زملائنا تتخذ اتجاهات مغايرة فصارت اسماء تتخفى وراء اسم فاطمة و عثمان ارتدى قناع عبدالحسن و ما كان ذلك ليجدي نفعاً، فكنا نقع بين أيدي فريق آخر لا يعترف بأية هوية سوى ان تكون جثة محكوماً عليها بقطع الرأس و إقامة حد الشرع»[21] كما نلاحظ في هذا النص و الأسماء المذكورة أن إحدي الصراعات القائمة، الصراع بين السنة و الشيعة. فمن كان سنياً و يخاف الشيعة يتنكر بأسماء شيعية و من كان يخشى أهل السنة

يتنكر بأسماء سنية. تذكر الكاتبة شخصية البطلة حياة حين اتخذت هوية مزورة بإسم آسية كنعان فهى مطاردة من قبل القتلة بسبب أنها كتبت تحقيقات صحفية حول ضحايا العنف و كذلك ضيفت السيدة الصحفية الفرنسية التي تدعى بريسكا كانت قد أتت إلى بغداد تريد كتابة تحقيقات عن شخصيات بغدادية استثنائية لم يستهلكها الإعلام هى سيدة شجاعة تعمل مراسلة لوكالة فرانس برس تقول الكاتبة نقلاً عن حياة: «أبلغني أحد معارفي أن إسمي مدرج على لائحة الصحفيين المطلوبين للقتل و لابد أن ارحل بأية طريقة عن بغداد فهم يتعقبون أنفاسي بعد أن أثيرت قضية الصحفية الفرنسية بريسكا مرة أخرى حفاظاً على سلامتي ينبغي أن اتوقف عن كتابة التحقيقات الصحفية حول ضحايا العنف الطائفي.. هيأت ثياب التنكير، ملابس أرملة في حداد و جواز سفر زوروا فيه عمري و إسمي سينقذني مما ينتظرني حدست أن موتي كان وشيكاً»[22]. «يعتقد غولدمن أن الكاتب يتعلق بفئة جماعية خاصة فهو شاء ام لا يعكس الرؤية الكونية التي تتعلق بهم لذا فالعمل الفني لا يصنعه الفرد بل تصنعه الفئة الجماعية»[23] شخصية بطلة القصة حياة تنتمي إلى فئة المثقفين و هى صحفية ملتزمة لا يسمح لها ضميرها أن تتجاهل ما يحدث حولها حتى لو كلفها ذلك ثمن حياتها. ثم توضح حياة سبب اختيار اسم آسية كنعان:

«أخبرني بائع جوازات السفر المزورة و هو تاجر أسلحة و تحف- أن الخروج عن طريق منطقة الخابور على الحدود السورية سيكون أضمن مع جواز سفر مزور و سلمني جوازاً يحمل إسما سيكون هو هويتي للسنوات التاليات، إسماً اقترحه هو مستنداً الى خبرة طويلة في التعامل مع المهربين:

- اسمك منذ الآن سيكون (آسيا كنعان) إسم لا يدل على دين أو طائفة أو عشيرة..»[24] نرى في هذا النص الإحباط الذي حدث لحياة فهى حرمت من ابسط حقوقها ألا و هى هويتها و اسمها اضافة الى ما ستواجهه من مشاكل التغريب و التهميش.

اسم بطلة الرواية حياة فيه مفارقة عجيبة اسم يوحي بالحيات وسط الجو الهائل و المثقل بروائح الموت باشكاله المختلفة. تقول حياة: «كنت اقول لنفسي إن كان موتي سيفضي الى ازهار بصيص من أمل لينهض غد جميل من دموعي و عظامي فلأمت الف مرة بألف وجه و مصير، لكن هراء

موتي و موت الآلاف لن يكون مجدياً الحيات هى التي تجدي»[25] من خلال رؤية العالم التي نوه بها غولدمن قائلاً: « إن الرؤية الكونية هى بالضبط تلك المجموعة من التطلعات و الأحاسيس و الأفكار التي تجمع أفراد فئة ما و غالباً ما تجمع طبقة اجتماعية.. و الدور الأساس الذي يقوم به الفرد هو الصياغة الجمالية لفكر منبثق عن الجماعة»[26] نلاحظ رؤية حياة حين تبحث عن شيء يؤدي إلى النجاة و الأمل و الخلاص فلا تجده في موتها و لا موت آلاف من الناس الآخرين و انما سره يكمن في الحياة فمن يختار الحياة بين جو هائل و مرعب يزخر بهلع الموت لابد أن يكون شجاعاً يتحلى بالصبر و الايمان بالأمل فلا خير في اختيار الموت و العدمية.

العنف

تعني كلمة العنف في اللغة العربية استخدام القوة و عدم الرفق و جاء فعل عنف في معجم الوسيط: عَنُفَ به، و عليه عُنْفاً و عنافةً: أخذه بشدةٍ و قسوةٍ و لامه و عيّره فهو عنيف. (ج) عُنُف[27]. و قال ابن المنظور العنف هو الخرق بالأمر و قلة الرفق به و هو ضد الرفق و التعنيف هو التعبير بالشدة و الغلظة[28] و «أغلب علماء الاجتماع و الفلاسفة و الانثروبولوجيين متفقون على انه ظاهرة اجتماعية و انه آلية من آليات الدفاع عن الذات ضد المخاطر التي تواجه الانسان و من أجل البقاء و الاستمرار في الحياة، و أن هذه الآلية الدفاعية هى احدى الطاقات الغريزية الكامنة في الكائن الحي التي تستيقظ و تنشط في حالات دفاعية او هجومية، يستوي فيها الانسان و الحيوان على حد سواء و الحال ان اشكالية العنف هى اكثر تعقيدا و غموضا، فالعنف يجد في النفس البشرية دافعها- التي هى مصدر القوة و السيطرة و العدوانية- التي تتبدى في القابلية للاستخدام غير المشروع للقوة للضغط على الآخر و ظلمه»[29]. ركزت لطفية الدليمي في روايتها على هذه الظاهرة الاجتماعية على مختلف انواعها و اشكالها فهى تارة تتجسد على هيئة جنود الاحتلال و تارة تظهر على هيئة رجال ملثمون: « الجنود الشقر و السود المقنعون بنظاراتهم القاتمة و خوذهم الفولاذ و اردیتهم المزودة بوسائل الدفاع الأليكترونية، كانوا يتدفقون مع المطر و العواصف الرملية، يهطلون على بغداد من النوافذ و انابيب مكيفات الهواء و المداخن، مبرمجين كالروبوتات، جنود مدججون بالعدم، يتبعهم أو يتقاطع معهم رجال اشباح ملثمون آتون من غياهب الشرق يقطعون رؤوس الرجال و النساء على شاشات الفضائيات...» [30] تصف الكاتبة كثرة

الجنود و رجال العنف و تشبه هجماتهم و مداهمتهم على الناس بهطول المطر و العواصف الرملية يقتلون الأبرياء دون رحمة منهم كأنهم رجال آليون أو روبوتات يأتون من ظلمات الشرق منهم من كان يتكلم بلهجة خليجية و منهم من كان سوداني فهم اشخاص مختلفي الجنسيات. و في مشهد آخر تقول: « كان البيت غارقاً في الظلمات، الكلاب ما عادت تنبح في الليل و المسلحون بدشاديشهم القصيرة و لحاهم الشعثاء يتقافزون بين حدائق بيوتنا و يطلقون نيرانهم على كل كائن حي في شارع الطاووس الأزرق فكنا نجد جثث الضحايا و كلابا نافقة و قططا و حميرا، كانوا يقتلون كل ما له علاقة بالحياة و يحرقون كل بيت لا يفتح ابوابه لهم و يدعون جنود المارينز منعمين في أمان داخل أجواف الدبابات المحكمة»[31]. كما نري في النص مفارقة عجيبة و مؤلمة اذ هؤلاء المسلحون يهجمون على ابناء جلدتهم من العرب الأبرياء يقتلوهم و يقتحمون بيوتهم ولكنهم يدعون جنود الإحتلال الأمريكان بأمان و هم داخل دباباتهم الضخمة. فهؤلاء بدل أن يدافعون عن الأبرياء و الشعب المضطهد و يقاتلون الأجنبي المحتل، يتعاملون مع الأبرياء بعنف من غير رأفة و لا رحمة فهم كما يقول المثل: أسد على و في الحروب نعامة. و تتجلى مظاهر العنف في اغتصاب النساء و الأطفال و هى أبشع الهمجية البشرية و الدليل على قسوة المجتمع الذي ضاع فيه سيادة القانون و حل محله قانون الغابة فأصبح القوى يأكل الضعيف. كانت هالة إحدى الفتيات اللواتي اعتقلت في سجن ابي غريب اتهموها بالتعاون مع مجموعة ارهابية تعمل ضد الامريكان في حال انها فتاة بسيطة لا علاقة لها بكل هذه التهم. كانت هالة بنت خالة حياة و خطيبة مهند اخو حياة. مات مهند عندما كان جندي ايام المعارك الشرسة التي دارت في شمال العراق و ترك حبيبته هالة في خبل الغرام. كانت هالة تعيش مع امها توفى والدها بعدما قُتل اخوها حيدر ايام المواجهات بعد هزيمة الجيش في الكويت. كتبت هالة في اوراقها التي سلمتها إلى حياة: « لن انتحر و لن ادعهم يذبحوني، فليذهب أخوالي و اعمامي إلى الامريكان و يصوبوا نيرانهم الى واحد أو عشرة منهم إن كان الثأر يعنيهم حقيقة، لن امكنهم مني لن يقتلوني كما قتل الأمريكي جوشوا روحي و اغتصبني تلك الليلة المشؤومة، كنت في رابع أيام دورتي الشهرية و قد ذبلت و غارت عيناى لفرط النزيف الذي لازمني بسبب فقر الدم احسست أن الهالات القاتمة قد ازدادت و ان جلي بدأ يتشقق جراء سوء التغذية كنت لا استسيغ مذاق الطبيخ التافه الذي يقدمونه لنا و قد مر شهران على اعتقالي، كنت انام متثرة بشال صوفي، حين أيقظتني يد و هى تربت على كتفي،

فزعت و صرخت امتدت اليد الثقيلة و كممت فمي.. كنت انزف على أرضية بالغة النظافة، ارعبني دمي و غامت عيناي قاعة خاوية مرعبة، الذين يعذبون السجناء لا نراهم، نرى القفازات البيضاء و الكلاب البوليسية المزمجرة، يضعون أقنعة فلا نرى سوى الأنياب و الأيدي بالقفازات تسحب سيور الكلاب يرتدون القفازات قبل ان يلمسوا السجين القفازات تقول: ما أنت الا حيوان ما انت الا حيوان دنس ما انت الا وسخ القفازات تقول انك لا يمكن ان تلمسهم بيديك العاريتين»[32]. كما هو واضح في هذا النص نرى قسوة المجتمع الذي يستقبل الفتاة المظلومة التي اعتقلت في سجن الأمريكان و تعرضت للتعذيب و الإغتصاب ظلماً و عدواناً ثم تقع بين يدى عشيرتها إما أن يذبحوها أخوالها و إما أعمامها تخلصاً من العار الذي ألحقهم بسببها دون أن يرجعوا لأنفسهم و يتسائلوا ما هو ذنبها؟ تحاول الكاتبة من خلال سرد هذه الأحداث أن تيقظ ضمائر ابناء شعبها و تزودهم بالوعى و ترك الأفكار و المعتقدات القديمة التافهة حتى يهتدوا نحو العدو المحتل و بالتكاتف و الإتحاد يتخلصوا من ظلمه و اعتدائه على نواميسهم و شرفهم. « يصف غولدمان بحث الفرد/البطل الإشكالي عن القيم الأصيلة في المجتمع البرجوازي بأنه بحث متدهور، فالبطل لا يعي القيم التي يبحث عنها داخل مجتمع يجهل القيم و يكاد أن ينسى ذكراها تقريباً و يسقط غولدمان صفة التدهور على البطل و العالم فالأول متدهور لأنه يسعى الى ايجاد قيم بطرق تناقض تلك القيم و الثاني متدهور لأنه لا يتوفر على امكانية وجود تلك القيم فيه»[33] وفقاً لهذه النظرية نرى هالة تسعى أو ربما تتمنى أن يذهب أعمامها و اخوالها الى الأمريكان و يصوبوا نيرانهم اليهم بدل ان يقتولها هى لكن هذا لن يحدث و بالتالي بعد ان تتخلص من سجن الأمريكان تهرب مع أمها إلى إحدى البلاد المجاورة. و ما يسمى بـ«غسل العار» ظاهرة من ظواهر العنف بحق المرأة « في الريف العراقي عادة شائعة جداً و هى قتل المرأة عند الاشتباه بسلوكها و هذه العادة موجودة في كثير من المناطق في البلاد العربية و لكني اميل الى الظن بانها في الريف العراقي أوسع انتشاراً و السبب في ذلك يعود في رأيي الى استفحال ظاهرة التناشز الاجتماعي في الريف العراقي»[34] تروي الكاتبة قصة إمرأة أخرى حدث لها هذا النوع من العنف :

- قتلوها، قتلوا بدرية، راحت بدرية.

- إخرسي يا حرمة لا تنطقي اسم الفاجرة، يهمس بصوت أجش رجل ملفع بالكوفية.. قتلها ابن عمها و غسل عار العشيرة، حبلت بالحرام.. خرج من الزقاق رجل يلوح بخنجره المدمى و انهال عليه الرجال بالعناق و التبريك:

-سلمت يا رجل، رفعت رأسنا بين الناس.. يهمهم القاتل كلاما مبهماً و يمسح وجهه بطرف كوفيته..
- من هى المغدورة؟ يسأل رجل..

- بدرية الحلوة بنت جاسم المعمار الم تسمع ببدرية الحلوة؟؟

- يقولون أن من عاشرها هو زوج امها..

- يقولون هو يعمل شرطياً، اي نعم رجل امها شرطي يعمل في الحكومة..
- لا الذي عاشرها صاحب محل العطور الموصلي[35]..

كما يتضح من النص لا يستبعد أن تكون المرأة مجنى عليها و قد اغتصبها زوج امها لكن الأمر لا يختلف كثيراً عند المجتمع الظلامي فالمرأة محكومة بإغتراف الذنب حتى و لو كرهت على ذلك و اعتدى عليها فلابد أن تدفع الثمن حتى يغسل العار بقتلها!

الإرهاب و التكفيريون

يرى كثيرمن علماء النفس أن ليست هناك علاقة بين الإرهاب و الديني و القومي و المذهبي، لأن من يمارس الإرهاب له مواصفات سيكولوجية عامة. فالإرهابي شخص مصاب بالعمى العام فلا يرى من الحقيقة سوى وجه واحد هو ممارسة القتل و الذبح و قطع الرؤوس بقسوة لتحقيق هدفه، حتى لو توفرت امامه خيارات اخرى. فهو يكفّر بدل أن يفكّر في نتائج ما يقوم من أعمال إرهابية[36]. إن الابحاث السيكولوجية التي اجريت على عدد من الإرهابيين لاحظ العلماء ان من النادر أن يعاني هؤلاء من أمراض نفسية و الأغلبية الساحقة من الارهابيين غير مصابين بامراض نفسية أو عقلية غير أن العامل المشترك الذي يجمع بينهم هو ايمانهم العميق و يقينهم المطلق بأيديولوجيتهم الدينية المتطرفة، و الأهم من ذلك يقينهم المطلق بصحة و عدالة ما يقومون به من أعمال إرهابية من دون أي تفكير بالنتائج المرتقبة من أعمالهم الإرهابية. إحدى الجرائم التكفيرية التى تحدثت

عنها لطفية الدليمي في الرواية هي قصة الطبيبة الملتزمة منار، هي احدى صديقات حياة، تعيش مع أمها و أخيها رافد، كانت أمها طبيبة و أخوها رافد استاذ علوم الحياة في جامعة بغداد، كانت منار تتعامل مع منظمات انسانية دولية تأتيهم بالتبرعات في فترة الحصار، تواصل تسلم الأدوية من جهات إغاثة اجنبية و توزعها في العيادات الخارجية و قسم الطواريء، كانت بعملها هذا تنقذ العشرات بأدوية متاحة، لأن المرضى يموتون بلا علاج و لا احد معني بل أن بعض الموظفين يسرق الأدوية و يبيعها على الأرصفة، لكنها استلمت تهديد بالقتل كتبوا لها: أنت متعاونة مع العدو، رأسك مطلوب للمجاهدين! كانت خائفة جداً نصحتها حياة أن تطلب إجازة و تمكث في البيت لكنها لم تقبل لأن المرضى سيموتون، في يوم من أيام رمضان قبيل الغروب اقتحم بيتها اربعة رجال ملثمون يرتدون سراويل فضفاضة حطموا باب البيت الخشبي و اطلقوا الرصاص قتلوا ام منار و اخيها رافد و أغتصبوا منار و اعتدوا عليها كلهم فدخلت في غيبوبة حيث ظنوا انها ماتت فتركوها تنزف دماً على الأرض مغمياً عليها، بعد ارتكاب الجريمة جلسوا في حديقة البيت قال أحدهما:
- لماذا لا نحرق البيت عندما نغادر؟

- لا، لا ندع كل شيء كما هو ليتعظ الكفرة الملحدون و المرتدون.. ادخل و أحضر لنا شيئاً من المطبخ لابد ان نفطر ألا تسمع الأذان؟؟

- نحن مفطرون، نقضت الشهوة و الدم صومنا.

- من قال ذلك؟؟ فعلتنا بهؤلاء ماجورة، قتل المرتد و سبي حريمه أجر عظيم..
- هل طعامهم حلال؟؟

- حلال، هم مسلمون مرتدون.. لا تصعب الأمور علينا..

بحث الرجل في المطبخ كانت الأم قد اعدت كبة موصلية محشوة بلحم غنم دسم... لم يكن ثمة خبز، بحث الرجل و لم يعثر على شيء..

- نفطر دون كسرة خبزة أو حبة تمر؟؟

حمل الأطباق و خرج الى صحبه في حديقة البيت الخلفية:

- خذوا هذا ما وجدت..

كان اثنان من الرجال يصليان و الثالث فرغ تواً من صلاته..

- صوماً مقبولاً[37].

كما نلاحظ في النص الرجال الملتحين يرون أنفسهم في حالة جهادية و يعتبرون جنايتهم فرض من فروض الإسلام يتلقون الأوامر من شيخهم عبر اتصال هاتفي يجرونه معه. و كذلك نلاحظ الجهل و العنجهية في سلوك هؤلاء حين يبيحون قتل المسلم و إراقة دمه و الإعتداء على النساء و هم صائمون و يؤدون الصلاة بعد ارتكاب الجريمة لا بل يرون في فعلتهم هذه اجر عظيم! عندما نرجع الى تاريخ الإسلام نجد أن محمد صلى الله عليه و آله و سلم في كل موقف من مواقفه و في دستور المدينة و في صلح الحديبية لم يستخدم العنف ابداً و إن الإسلام هو الدين الذي دعا الى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الى التعاون و التسامح بين الناس. الإنسان من وجهة نظر الإسلام مستعد لعمل الخير و الشر لكن الله سبحانه و تعالي رزقه بنعمة العقل حتى يدبر به اموره و يميز بين الخير و الشر: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ لكن مع كل هذا اختلاف الفرق الإسلامية في تفسير و تأويل النص القرآني و الحديث حسب منطقها و مصالحها السياسية سببت كثير من الفجائع و المصائب و شوهت صورة الإسلام و ارتكبت الجرائم بإسم الإسلام. إن موقف الإسلام من غير المسلمين هو موقف سلمي « فيرسم لنا الخطوات الايجابية التي نكرم بها الإنسانية في شخص غير المسلمين هل ترى أسمى و انبل من تلك الوصية الذهبية التي يوصينا بها القرآن في معاملته الوثنية التي هى أبعد الديانات عن الاسلام فضلاً عن الديانات التي تربطنا بها أواصر الوحي السماوي ﴾ و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ فهو لا يكتفي منا بأن نرشدهم الى الحق و نهديهم سواء السبيل بل يامرنا بان نضمن لهم كذلك الحماية و الرعاية... ليس هذا هو كل شيء في تحديد موقف اجتماعي نبيل يقفه الإسلام فلا من غير اتباعه فالإسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده امصافحة أتباع كل ملة و نحلة في سبيل التعاون على اقامة العدل و نشر الأمن و صيانة الدماء من ان تسفك و حماية الحرمات أن تنتهك»[38] كل هذه المواقف الاسلامية و القرآنية التي اتخذها

الإسلام تجاه المشركين و غير المسلمين فما بالك بالمسلمين لذا فكل ما يعمله التكفير بريء منه الإسلام و يعتبر من افظع الجرائم بحق البشر.

عنف الدولة الإستبدادية

إن السلطات السياسية الدكتاتورية تلجأ الى أساليب عنف غير محددة كالأعمال الإرهابية الفظيعة لفرض مبادئها السياسية على أفراد المجتمع او فئات معينة من أجل الحفاظ على كيانها أو إحداث تغيير جذري في الدولة و «قد تستخدم الدولة عنفاً و قهراً من أجل فرض سياستها و ايدولوجيتها على المواطنين. و قد يمتد بطش السلطة الدكتاتورية الى مصير أفراد المجتمع و التحكم في اسلوب حياتهم و عملهم و علاقاتهم الاجتماعية»[39].

تروي لنا الكاتبة عن لسان الشخصية الرئيسة حياة في إحدى كراساتها قصة اعتقال والدتها بهيجة التميمي في عهد النظام السابق كانت من ضمن مجموعة طلاب صغيرة يطلقون على انفسهم تندرا اسم (الجيفاريون) يقلدون ثائرهم الحالم (تشي) يرتدون قمصان عسكرية و البيريهات السود و لا علاقة لهم بأى تنظيم. القوا القبض عليهامتلبسة بتوزيع منشورات و هى عائدة من كلية الآداب أخذوها معصوبة العيون أقاموا لها حفل تعذيب ليلي بالضرب و سكب الماء المملح على الجراح و كانت احدى طرقهم لأخذ الاعتراف من النساء المسجونات تهديدهن بالإعتداء على الشرف و تحويلهن الى عاهرات لمتعة الحرس و الجنود تقول بهيجة التميمي: «لا أنا و لا احد كان يعلم مكان احتجازنا لا اعرف كم من الزمن مر على و انا قابعة في عتمات الجنون، كانوا ينقلوننا من مبنى الى آخر في سيارات مغلقة معصوبي العيون و يديرون حفلات التعذيب في زنازين صممت بشكا توابيت هزازة تحولنا الى كائنات فاقدة الوعي انهكها الدوار و الغثيان و روائح البول و البراز...ذات ليلة استبدلوا التابوت بغرفة سوداء تتردد فيها اصداء صرخات المعذبين بلا انقطاع الغرفة الصفراء الرجراجة كانت افظع غرف التعذيب...»[40] و كذلك تحدثت لطفية الدليمي عما جرى لحامد معلم اللغة الإنكليزية عندما سجل احد طلابه على جهاز تسجيل صغير قراءته للمشهد الثالث من الفصل الرابع لمسرحية مكبث.

« طبيب تجميل معروف بتر ربع لسان حامد، قطع آذان عدد من الجنود الهاربين من الجيش امام حامد قبل أن يحقنه بالمخدر، أبقوه يومين و هو يعوي من هول الألم في المستشفى ثم أطلقوه، مدرس اللغة الإنكليزية فصل عن عمله و تلاشى و حل محله حامد الأخرس»[41] و من فجائع عنف الدولة الإستبدادية ما روته لطفية الدليمي عما حدث لحازم زوج حياة عن لسان زوجته: « كان حازم مهتماً بموضوع حقوق الإنسان اضافة لعمله استاذاً للعلوم السياسية يعمل سراً مع جماعة

تزود منظمة (هيومان رايتس) بمعلومات عن انتهاكات السلطة خلال التسعينيات، كان ابي يتعاون معه، و في العطلة الصيفية حصل على موافقة للسفر و غادر الى تونس لحضور ندوة تعقدها منظمات دولية و عندما عاد اختطفوه على الحدود مع ثلاثة من زملائه عصبوا اعينهم و ساقوهم الى معتقل خارج العاصمة....هناك امرهم صوت رجل ساخر بلكنة ريفية أن يزحفوا كالكلاب أمامه - أنتم مجرد كلاب لكم حقوق الكلاب ايضاً ام تطالبون بحقوق الانسان ايها الجواسيس؟ ثم ادخلوهم غرفة هى مستشفى للطواريء ملحقة بالمبنى، رفعوا العصائب عن عيونهم التي بهرها الضوء ربطهم الى الأسرة الحديدية البيضاء بسيور بلاستيكية كان رجلان بثياب الأطباء يقفان هناك و ممرض يحمل حقناً...خدرهم و انزع ملابسهم الداخلية الطبيب وخز باطن القدم، المخدر سرى في اسفل الجسم و الساقين بدأ بإستئصال خصيتى حازم، ببراعة جزار استل الأثنتين و القاهما في إناء ابيض و خاط ما تبقى من الصفن و جعل الآخرين يشهدون الفعل المروع حتى أتى دورهم.. و تركوهم تحت الحراسة، كانوا ينزفون أرواحهم مع دمائهم حاول حازم الإنتحار لكنهم حالوا بينه و بين أن يختار طريقة موته..[42]

كما نلاحظ في النصوص ان الحكومة الاستبدادية تطارد الفئة المثقفة الواعية ممن يبحث عن الحرية و كسر قيود العبودية فالمستبد لا يرى غيره و لا يطيق كلام احد غيره خاصة حين يعارض افكاره و اعماله كما رأينا في النصوص المسبقة. إن الحكومة اعتقلت بهيجة التميمي الطالبة و حامد معلم اللغة الانجليزية و حازم الذي كان استاذا جامعياً لأنهم قاموا بأعمال تخالف عقيدة الحاكم المستبد فذلوهم و مارسوا بهم انواع العنف و جردوهم عن أهم حاجياتهم و آمالهم من أجل البقاء و استمرار الحياة فبقوا احياء لكنهم كالأموات. أما طبيب التجميل و الممرضين مطيعون لأوامر السلطة الحاكمة فهم كآلة بيدهم يوجهوهم اينما شائوا. تهدف الكاتبة من خلال هذه النصوص الكشف عن رؤيتها تجاه النظم الإستبدادية و هى ان هذه النظم تتكون من جماعات و اشخاص عديمة الضمير اهم ميزتهم العنف تستخدمهم الحكومة لبسط سلطتها و من أجل التحكم في اسلوب حياة الناس و المواطنين. فلا فرق إن كانوا علماء كذلك الطبيب الذي يبتر الألسنة و يقطع الآذان أم كان غير متعلم كالرجل الريفي الذي آمر على الأساتذة أن يزحفوا كالكلاب. فأن العالم إذا عدمت انسانيته لا يختلف كثيراً عمن كان جاهلاً و هو لا يفقه شيء. و وفقا لرؤية غولدمان حيث «لا يفهم وعى كل شخص الا في علاقته مع الذات الفوق فردية و كل فرد يندرج في العديد من السلوكات المختلفة يشكل جزءاً من عدد كبير من الذوات الفوق فردية المختلفة و الحال ان قطاع الذات الفوق فردية في الحياة الانسانية يلامس كل ما يعتبر في سلوك الناس إما مباشرة أو بشكل غير مباشر اجتماعيا و تاريخيا اي بخصوص كل ما يتعلق بتأثير الناس على العالم الطبيعي و الاجتماعي»[43] فسلوك الذات الفوق فردية لكل من الأشخاص المذكورين من

مثل حازم و حامد و غيرهم يؤثر في سلوك الناس سواء أكان هذا التأثير مباشر أو غير مباشر.

الزواج بسبب ظروف الحرب

قال الله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم: ﴿و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ﴾ يعتبر الزواج نظاماً اجتماعياً يساهم بنصيب كبير في تنظيم الجماعة و في تنظيم الغريزة الجنسية و هو يقوم على تفضيل العلاقة الدائمة بين الطرفين و الرغبة في الحياة المشتركة.[44] تعتبر الكفاءة الزوجية « المماثلة و المساواة بين الزوجين في امور مخصوصة، ينبني عليها صلاح الزوجية و سعادتها و يترتب على الإخلال بها فشل الحياة الزوجية و عدم استقرارها»[45] في رواية سيدات كانت حياة أرغمت نفسها على الزواج من رجل لا تحبه و لا ترغب فيه اسمه حازم و كانت تبرر فعلتها بادلة زائفة و كانت تتصور أن مرور الزمن سيحل المشكلة و قد ينمو الحب بالتدريج فأعترفت بقصورها فيما بعد و قالت: هل كنت سيئة الى هذا الحد لأضحي بحياتي من اجل أن اعيش في رفقة رجل طيب دون حب؟ لأنني وحيدة بعد أن فقدت اهلي جميعاً؟ هل كنت أقايض روحي مقابل أمان زائف؟ هل كنت إمرأة من دخان و هذا اللحم و الدم و المشاعر ملك امرأة أخرى؟ قلت نعم لابد أن أتخفف من وطأة المثال الذي ربيت عليه، قلت: نعم سأبقى معه امرأة معطلة بثمن بيع الروح، و ماذا عن حق نفسي؟ و ماذا عن جسدي؟ و ماذا عن امومة كنت احلم بها؟ أكان رعبي من مجتمعي مبرراً لهذا الخداع المتقن؟ اعترف لنفسي انني كنت أتصرف بنذالة أنثى و ليس بكرامة امرأة، ناقشت هذا مراراً مع نفسي: ماذا لو انفصلنا؟ أين أذهب وسط غابة الضواري؟ نظرت الى نفسي من زاوية احلامي المهدورة، أ هذه أنت يا حياة؟... تزوجت رجلاً له صوت كأصوات الأخرين و وجه يشبه آلاف الوجوه و تاريخ منسوخ عن ملايين الرجال اللطفاء أكثر مما ينبغي و الطيبين الودودين كوعاظ أبويين.. و إن طلبت الإنفصال فكيف سأعيش مطلقة في مجتمع فككته الحروب و انهكته المجاعة؟ و تكاثر فيه كالفطر رجال بدشاديش قصيرة و لحى شعثاء و جنود من بقايا جيش غزو الكويت كانوا يتسولون لقمتهم..[46]

كما نلاحظ في النص السيدة حياة تزوجت السيد حازم و على ما يبدوا انها ليست راغبة في هذا الزواج لكنها أرغمت نفسها على هذا الزواج لعدة من الاسباب. حازم لم يكن زوجاً سيئاً و انما هو رجل لطيف اضافة الى انه استاذ جامعة في العلوم السياسية لكنها ما كانت تحبه لانه لم يكن الرجل المثالي الذي رسمته في مخيلتها و احلامها هى كانت تحترمه فقط لخصال كثيرة يندر وجودها لدى الرجال الآخرين فكانا يعيشان مع بعض كغريبين في بيت واحد. زواج حياة من حازم كان بسبب وحدتها و خوفها من مجتمعها البائس في فترة الحرب و كثرة الفقر و قلة الرجال الشرفاء ممن تعول عليهم النساء الوحيدات. فكانت حياة متفاعلة مع عقيدة المجتمع الذي يعتبر المرأة

كائنة ضعيفة و هى بحاجة الى رجل تعتمد عليه و هذه المرأة إذا اصبحت وحيدة يضغط عليها المجتمع و يصفها بالعانس و اذا لم تتزوج يسخر منها و يلقى عليها كثير من اللوم و اذا كانت مطلقة سيكون الأمر اشد بشاعة لذا فالمرأة في المجتمعات الشرقية تضطر على الزواج من اي شخص تقدم لها حتى اذا كان غير لائق بها و لم تكن ترغب فيه. على أساس رؤية غولدمان حين يؤكد على الخاصية الدالة لسلوك الذات الجماعية و علاقة هذا السلوك بالوسط الإجتماعي نرى أن لطفية الدليمي ادمجت بين الذات الجماعية المتجلية في سلوك حياة و مونولوجها الداخلي فهى و إن خضعت للسلوك الإجتماعي و تزوجت حازم لكنها في حرب دائم مع نفسها. من حيث الرؤية السيكولوجية حياة لا تقدر نفسها فتطأ على المثال الذي بحثت عنه و خدعت نفسها.

الخيانة الزوجية

الخيانة الزوجية ظاهرة اجتماعية سلبية موجودة في مختلف المجتمعات الإنسانية لكنها تختلف من مجتمع لآخر حسب النظم و السنن الأخلاقية المفروضة و تنشأ لوجود خلل ما في العلاقة الطبيعية التي تربط بين الأزواج بسبب بعض السلبيات فتؤدي الى زعزعة النظام الأسري و تفكيكه.[47] كانت «راوية» احدى صديقات حياة تعمل موظفة في دائرة الفنون تعيش مع امها و هى معلمة متقاعدة كان قد تقدم لراوية شخص قريب لوالدها اسمه نديم خطبها ثم غادر العراق الى بريطانيا و عمل مع المعارضة على أمل ان يرسل في طلب راوية كان يكتب لها رسائل مشفرة و يواعدها بالرجعة الى العراق لكن بعد فترة تباعدت رسائله و كانت راوية تبرر له انشغاله مع المعارضة. في يوم من الأيام علمت برجوعه الى بغداد عندما رأته في التلفزيون بملامح جامدة غريبة متحولة يحمل رشاشاً و لاسلكي و لم ترى خاتم خطوبتهما في بنصره. فقررت الذهاب الى منزل اخته حتى تتأكد قالت لها أخته:

« - لاتتالمي، نديم لا يستحقك..

- اوضحى ما الذي تريدين قوله؟

- نديم عاد و معه زوجة بريطانية قال لي انه تزوج هذه المرأة لأنه كان بحاجة إلى من يسنده في الغربة فضلاًعن كونه يمثل جماعة دينية و زواجه منك قد يسبب له المتاعب من قبلهم لانك من طيف مختلف، هذا مبرر تافه من اخي، نديم صار رجلاً آخر حتى انه خاصم زوجي حين أبدى رأيه عما فعله الإحتلال بنا، قال انه لا يري أن يسيء اليك و يجعلك تنتظرين بلا طائل، حسم الأمر و تزوج البريطانية، كانت ممن نسقوا موضوع المعارضة مع الجهات البريطانية، يبدو انها سيدة ثرية و لها دورها في السياسة الخارجية...[48] ثم لم يكتفي الرجل بكل ذلك فقد ترك لها رسالة طلب منها أن تلتقي بصديق له امريكي رأي صورتها عنده و اعجب بها فطلب منه ان يهيء له لقاء معها حتى

يكافئه وإياها مهما كان الثمن. راوية بعدما قرأت الرسالة مزقتها و صرخت باخته: اخوك قواد حقير يعرضني للبيع قولي له إن كان هو معروضاً في المزاد فراوية لا تباع و لا تشترى. بناءا على رؤية غولدمن عندما «يعرض نقط الالتقاء بين التصورين البنيوي التكويني و التحليل النفسي مؤكد ان التحليل النفسي في هذه النقط بالضبط يعتبر بدوره بنيوية تكوينية» [49] يتضح لنا من هذا النص أن الزوج تخلى عن خطيبته بسبب ضعف الشخصية فهو تعرف على سيدة ثرية لها نفوذ سياسي ساعدته في العمل فتزوج منها و ترك خطيبته راوية. إن السبب الرئيسي الذي أكدت عليه الكاتبة من خلال النص هو ضعف شخصية نديم لأن كل المبررات التي أتى بها لا اساس لها فهو إذا كان بحاجة الى سيدة ثرية تسنده في الغربة فراوية لم تكن فقيرة لكنه كما قالت اخته يمثل جماعة دينية و صار رجلاً آخر و استمرت به هذه المثاقفة حيث اصبحت ملامحه جامدة غريبة كما اشارت اليها راوية و تظهر لدى نديم أهم علامة الضعف في الشخصية عندما اقترح على خطيبته أن تلتقي بذلك الرجل الأمريكي الذي عرض عليه صورتها فواعده بالمكافئة حين يهيأ له فرصة لقاء براوية. و إضافة الى ضعف الشخصية يبدوا عليه علامات من النرجسية فهو لا يبالي لشيء و لا يهتم بأحد سوى مصلحته التي هى عنده فوق كل شيء.

ابتزاز النساء و الزواج الأبيض

الإبتزاز اصطلاحاً هو« محاولة تحصيل مكاسب مادية أو معنوية من شخص أو أشخاص طبيعي أو اعتباري بالتهديد بفضح سر من وقع عليه الابتزاز أو هو استغلال القوة مقابل ضعف انسان آخر سواء كان هذا الضعف مؤقتاً أو دائما.»[50] و الزواج الأبيض هو عبارة عن « تعايش و قران لفترة غير معلومة في ما بين الرجل و المرأة و يخلو من الشرعية القانونية و الاجتماعية» [51] بعدما انفصلت راوية من خطيبها حازم ارتبطت باحد المهربين يدعى سامر عقد عليها عقد زواج أبيض كما يسمونه في عرف المهربين الذين يبتزون النساء الوحيدات التواقات الى السفر... توضح الكاتبة سبب قبول راوية لهذا النوع من الزواج عن لسانها : « قالت راوية و هى تغمض عينيها النرجسيتين فتظلل اهدابها وجنتها العالية:

- و ماذا في الأمر تزوجت رجلا عبر بي الحدود بإعتباره محرماً لي، ماذا في الأمر؟ هو زواج بلا شائبة، معي عقد زواج موثق لدى المحكمة..

- و تطلقت منه؟

- ليس بعد قد لا نتطلق، بدأت اعتاده امنح نفسي فرصة ربما نواصل معا.

- و هو؟؟

- لا تخشى على سأوقعه في حبي إذا قررت البقاء معه، ليس أسهل من هذا..[52]

بعد ما عرفت راوية ان حامد الأخرس كان يحبها ابدت أسفها و ندمها عليه و اعترفت بأن حامد كان رجلاً حقاً لكن سامر زوج عاطل و هى التي تنفق عليه و ستزهق منه.. الزواج الأبيض هو نوع من الإبتزاز تقع فيه النساء البسيطات الوحيدات و الرجل المبتز عادتاً يبحث عن ضحيته بين النساء اللواتي يتميزن بهذه الميزة. في هذه القصة راوية قبل أن تتعرف على سامر كانت تحلم أن يأتي زوجها نديم و يحقق لها كل ما تتمنى من احلام و رؤى لكنه خيب آمالها و تركها فتزوج إمرأة أجنبية و تخلى عنها فشاءت راوية أن تستبدله بشخص آخر لذلك كررت نفس الخطأ و أختارت من استغل ضعفها فعقد عليها عقد زواج ابيض و بدأت تصرف عليه. أكدت لطفية الدليمي على السذاجة عند الفتاة حتى لو كانت متعلمة و موظفة و لها استقلالها المادي اذا لم تعتمد على ذاتها نفسياً لاتزال تشعر بالنقص و الحاجة الى الرجل فتعيش في الأوهام و تصبح ضحية لمن يستغل ظروفها. اسم راوية يدل على الرواة و العقل و التفكير ففيه تضاد مع سلوك الفتاة.

الجهل و الفقر

« يعرف الفقر بأنه تلك الحالة التي لا يستطيع فيها الفرد الحصول على حد ادنى مقبول من الرفاه الإنساني على أن تعريف أمارتيا سن هو الأكثر شمولاً إذ إن الفقر بإعتقاده يتألف من توليفة من الأفعال و الحالات تتفاوت من متغيرات اولية مثل جودة التغذية الى امور مركبة مثل احترام الذات و من ثم فإن الفقر لا يعني انخفاض الدخل في حد ذاته و لكن عدم وفاء الدخل بالنشاطات و التوظيفات التي تتولد منها القدرة الإنسانية للفرد.»[53] و ظاهرة الفقر متجذرة في العراق من العهود الماضية و خاصة بسبب انشغال النظام الإستبدادي السابق بالحروب المختلفة. الكاتبة تدين الحرب و تصف دمارها الشامل لكل شيء فأصبحت الناس فقراء و عدمت الضمائر و تفشى الجهل و انتشرت الرذائل بكل مكان: « انسحبت الدبابات الأمريكية من شارعنا على نحو مفاجيء و اتاحت للمسلحين أن يسيطروا على المنطقة و يفرضوا قانون الموت علينا بعد ليلة من هيمنتهم على شارعنا أحرقوا مكتبة الفراهيدي العامة و نهبوا مبنى نقابة الفنانين في شارع المنصور... تلك الليلة أحرقوا المكتبة جمعوا الكتب في الباحة الأمامية بين اشجار الشمشار الضخمة و حواجز الآس و شجيرات الورد ألقوا بالموسوعات و المعاجم و المصادر التاريخية من النوافذ العليا للمكتبة و كدسوا فوقها آلاف الكتب الأخرى و رشوا عليها البنزين و اشعلوها هرعت نحو الحريق اولول و اصرخ: ليش، ليش، حرام، ما تفعلونه حرام.. و قبل أن ابلغ المبنى المحترق تلقيت رصاصة في ذراعي

أطلقها واحد من فصيل الحرانق[54] لعلني صرخت أو ناديت احدا أو اطلقت استغاثةعندما وجدت نفسي في سرير المستشفى، يدي مربوطة بضماد مدمى الى جانبي عشرات الجرحى و المحتضرين يرقدون على الأسرة الملطخة بالدماء في حين رقد بعض المصابين على الأرض، ما عدت ارى شيئاً عندما هجمت جموع السلابين كقطيع من الوحوش و بدأت عملية جنونية يديرها رجال ملثمون و نساء و صبيان لنهب المستشفى، ألقى النهابون بالجرحى و المحتضرين على الأرض الملوثة بالدماء و حملوا الأسرة الحديدية و تعاونوا على حمل اسطوانات الأوكسيجين و لم يكتفوا بهذا اخذوا المباول و عربات التضميد و قوارير الأدوية و لفائف القطن فككوا المراوح المعلقة في سقوف الردهات بينما تكفل آخرون بحمل مكيفات الهواء و اجهزة اشعة اكس و نقالات الجرحى...[55] كما نلاحظ في نص أحرقت المكتبة بما فيها من آلاف الكتب الثمينة و من فعل هذه الجريمة هو ليس هولاكو و لا المغول و انما فعلها الرجل الحارس الموظف في المكتبة و عصبته «يشدد غولدمان بالإستناد الى اصوله الماركسية على اهمية الجانب الإقتصادي في حياة الناس عموماً فالطبقات التي يربط بينها اساس اقتصادي تتمتع الى يومنا هذا بأهمية أساسية في الحياة الايديولوجية للناس فقط لأنهم مضطرون لتكريس اكبر جزء من اهتماماتهم و نشاطهم لضمان وجودهم أو عندما يتصل الأمر بطبقات مسيطرة للحفاظ على امتيازاتهم و ادارة ثرواتهم و مضاعفتها كما اكد غولدمان تحديداً على الفكرة القائلة أن القيم الفكرية الحقيقية لا تنفصل عن الواقع الاقتصادي الاجتماعي بل بالعكس تتكىء عليه.»[56] أكدت الكاتبة في هذه النصوص على أن ظاهرة الفقر تسبب امور كثيرة تصيب المجتمع مادياً و تتدهور المعنويات فيه فيصبح الشعب متخلفاً جاهلاً منهم من يحرق الكتب دون وعى و منهم من يسرق المستشفى دون ان يرحم المرضى و المحتضرين فيصبح كالوحش جفت في قلبه الرحمة على جنس البشر يعمل ما يشاء، و هذه الظاهرة و إن اشتدت بسبب الحروب و ظروفها القاسية لكن جذورها تمتد الى السنين الماضية.

النتائج

1.تطرقت هذه الدراسة الى كشف الرؤية الإجتماعية لدى الكاتبة لطفية الدليمي في روايتها سيدات زحل و دمجها بآراء لوسيان غولدمن و نظريته المعروفة بالبنيوية التكوينية. الرواية هى مجموعة من كراسات عكست الواقع الإجتماعي العراقي في حقبتي الاستبداد و ايام الحصار و حرب الأمريكن ضد العراق. الكاتبة برؤيتها الأنثوية عرضت معاناة المجتمع و الفجائع الإنسانية المروعة و خاصة معاناة النساء في هذا المجتمع.

2.المرأة في رواية سيدات زحل و إن كانت مضطهدة لكنها تحاول أن تكبح تهور المجتمع و هى البطلة في الرواية تتميز بالشجاعة و الحنان و العطف على المظلومين من أطفال و رجال كانوا ضحية اعمال الإستبداد و الحروب المتتابعة.

3. تنماز الرواية بجودة الحبك و الشفافية و البراعة في الصياغة السردية و عالجت الكاتبة قضايا المجتمع من مثل الهويات المزورة التي كانت نتيجة الطائفية و العنف و الإرهاب و التكفيريون و عنف الدولة الاستبدادية و الزواج بسبب ظروف الحرب و الخيانة الزوجية و ابتزاز النساء و الإشارة الى الزواج الأبيض و كذلك الجهل و الفقر.

4.سيميائية العنوان من القضايا الهامة و قد اشار اليها لوسيان غولدمان في نظريته. في رواية سيدات زحل عناوين الكراسات تكشف عن المحتوى مثل كراسة « راوية و السراب» فيها خذلان الزوج و خيانته و في كراسة « مدينة تولد من نار» تاريخ بغداد و اغلبية الكراسات تاتي بأسماء البنات و النساء. و هذه الأسماء نفسها ترتبط بالمحتوى ايضاً.

5. الآليات الغولدمانية في هذه الدراسة هي رؤية العالم، البطل الإشكالي، سلوك الذات الفوق فردية، المثاقفة الإجتماعية.

قائمة المصادر و المراجع

1) ابراهيم، الحيدري، سوسيولوجيا العنف و الإرهاب، دار الساقي، بيروت، ط1، 2015.
2) ابراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، مكتبة المرتضوي، طهران، 1427.
3) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119.
4) إمبرت إنريك، اندرسون، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة ط 1 ، 2000م.
5) أنيسة احمد الحاج، الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، الاستاذ المشرف الدكتور عز الدين المخزومي، الجزائر، جامعة وهران، كلية ألآداب و اللغات و الفنون،2016.
6) بيير، زيما، النقد الاجتماعي،المترجمة عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1991.
7) حنان عبابسة و نادية العيفاوي، سيمياء العنوان رواية تلك المحبة، رسالة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور عاشور الزهراء، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب و اللغات ، 2018.
8) حفيظة بن قانة، محاضرات في النقد الاجتماعي، الجزائر، جامعة محمد البشير الابراهيمي، 2019.
9) لوسيان، غولدمان، العلوم الانسانية و الفلسفة، المترجم يوسف الانطكي، المجلس الاعلى للثقافة، 1996.
10) لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015.

11) مجيد، آقايي، واكاوى جرم شناسانه ازدواج سفيد با رويكرد جامعه شناختى، پژوهش نامه اسلامى زنان و خانواده، ايران، سال هفتم، شماره 16، 1389 ،ص 113- 145.
12) محمد فكري، الجزار، العنوان و سميوطيقا الإتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1998.
13) مريوة، حفيظة، الاحوال الشخصية في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير في الدين و المجتمع، الاستاذ المشرف الدكتور قدوسي محمد، الجزائر، جامعة وهران كلية العلوم الاجتماعية، 2012.
14) نعيم عموري، دراسة سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب، مجلة آفاق الحضارة الاسلامية،ايران، العدد الأول، 1399. ص 183-205.
15) سمير، التنير، الفقر و الفساد في العالم العربي، بيروت، دار الساقي، ط1، 2009.
16) عباس محمد رضا البياتي، عتبات البنيوية التكوينية و نقاط انطلاقها، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية جامعة بابل، العراق، العدد 25، 2016.
17) عبدالله، العيشي، سيميائية العنوان في مقام البوح، منشورات الجامعة، دمشق، ط2، 2000.
18) عبدالله، الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، السعودية، ط3، 1990.
19) عبدالحسين فرزاد و صبا پژمان، نقد جاممعه شناختى رمان سالهاى ابرى، فصلنامه تخصصى زبان و ادبيات فارسى،ايران، شماره 3، 1389، ص 137-169.
20) عبير حسن علي الزواوي، الأبعاد المستحدثة في الخيانة الزوجية عبر الإنترنت و المخاطر المحتملة على الأسرة المصرية، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، كفرشيخ، العدد الرابع، ص213-266.
21) علي، الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، استاذ علم الاجتماع جامعة بغداد.
22) علي عبدالله شديد الصياح، بحوث ندوة الابتزاز، مركز باحثات لدراسات المرأة، رياض، 1432.
23) عمر، عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2008.
24) فايد، محمد، مقدمات في نظرية الرواية، لوكاتش، غولدمان، باختينن مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، العدد الاول، 2017، ص 60-80.
25) فزفوز، الزهرة، معايير الكفاءة الزوجية و اثرها في استقرار الاسرة، رسالة ماجستير في القانون، الاستاذ المشرف راشدي صابر، جامعة اكلي اولحاج البويرة،2015.
26) صالحة، عباسى، سوسيولوجيا النص الأدبي و تطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، رسالة ماجستير، في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور صالح خديش، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية و آدابها، 2012.
27) صلاح، فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، ط1، 2002.
28) لبنى، مهدي، من هى لطفية الدليمي؟، سبتمبر 22، 2020، www.e3arabi.com .

- التعليقات الختامية

[1] حفيظة بن قانة، محاضرات في النقد الاجتماعي، الجزائر، جامعة محمد البشير الابراهيمي، 2019، ص7.

[2] صالحة، عباسى، سوسيولوجيا النص الأدبي و تطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، رسالة ماجستير، في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور صالح خديش، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية و آدابها، 2012، ص8.

[3] بيير، زيما، النقد الاجتماعي،المترجمة عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1991، ص 146.

[4] المرجع نفسه، ص 123.

[5] إمبرت إنريك، اندرسون، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة ط 1 ، 2000م، ص 123.

[6] صالحة، عباسى، سوسيولوجيا النص الأدبي و تطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، رسالة ماجستير، في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور صالح خديش، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية و آدابها، 2012، ص9.

[7] المرجع نفسه، ص 15.

[8] صلاح، فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، ط1، 2002،ص 57.

[9] لوسيان، غولدمان، العلوم الانسانية و الفلسفة، المترجم يوسف الانطكي، المجلس الاعلى للثقافة، 1996، ص 147.

[10] صلاح، فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، ط1، 2002، ص 59.

[11] عمر، عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2008، ص 253.

[12] أنيسة احمد الحاج، الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، الاستاذ المشرف الدكتور عز الدين المخزومي، الجزائر، جامعة وهران، كلية ألآداب و اللغات و الفنون،2016، ص 74.

[13] المرجع نفسه، ص 67.

[14] نعيم عموري، دراسة سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب، مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، ايران، العدد الأول، 1399، ص 189.

[15] عبدالله، العيشي، سيميائية العنوان في مقام البوح، منشورات الجامعة، دمشق، ط2، 2000، ص 25.

[16] حنان عبابسة و نادية العيفاوي، سيمياء العنوان رواية تلك المحبة، رسالة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور عاشور الزهراء، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب و اللغات ، 2018، ص 39.

[17] نعيم عموري، دراسة سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب، مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، ايران، العدد الأول، 1399، ص189.

[18] حنان عبابسة و نادية العيفاوي، سيمياء العنوان رواية تلك المحبة، رسالة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، الاستاذ المشرف الدكتور عاشور الزهراء، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب و اللغات ، 2018، ص41.

[19] محمد فكري، الجزار، العنوان و سميوطيقا الإتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1998، ص21.

[20] لبنى، مهدي، من هى لطفية الدليمي؟، سبتمبر 22، 2020، www.e3arabi.com .

[21]لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 25.

[22] المرجع نفسه، ص 293.

[23]عبدالحسين فرزاد و صبا پژمان، نقد جاممعه شناختی رمان سالهای ابری، فصلنامه تخصصی زبان و ادبیات فارسی،ایران، شماره 3، 1389، ص 141.

[24]لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 296.

[25] المرجع نفسه، ص 24.

[26]فايد، محمد، مقدمات في نظرية الرواية، لوكاتش، غولدمان، باختينن مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، العدد الاول، 2017، ص 71.

[27]ابراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، مكتبة المرتضوي، طهران، 1427، ص 631.

[28] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص 3132.

[29] ابراهيم، الحيدري، سوسيولوجيا العنف و الارهاب، دار الساقي، بيروت،ط،1 2015، ص 17.

[30] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 30.

[31] المرجع نفسه، ص 53.

[32] المرجع نفسه، ص 267.

[33] فايد، محمد، مقدمات في نظرية الرواية، لوكاتش، غولدمان، باختينن مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، العدد الاول، 2017، ص 69.

[34] علي، الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، استاذ علم الاجتماع جامعة بغداد، ص 214.

[35] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 221.

[36] ابراهيم، الحيدري، سوسيولوجيا العنف و الارهاب، دار الساقي، بيروت،ط،1 2015، ص 226.

[37] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 225.

[38] عبدالله، الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، السعودية، ط3، 1990، ص 346.

[39] ابراهيم، الحيدري، سوسيولوجيا العنف و الارهاب، دار الساقي، بيروت،ط،1 2015، ص 46.

[40] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص115.

[41] المرجع نفسه، ص 79.

[42] المرجع نفسه، ص 149.

[43] لوسيان، غولدمان، العلوم الانسانية و الفلسفة، المترجم يوسف الانطكي،المجلس الاعلى للثقافة، 1996، ص 148.

[44] مريوة، حفيظة، الاحوال الشخصية في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير في الدين و المجتمع، الاستاذ المشرف الدكتور قدوسي محمد، الجزائر، جامعة وهران كلية العلوم الاجتماعية، 2012، ص 45.

[45] فزفوز، الزهرة، معايير الكفاءة الزوجية و اثرها في استقرار الاسرة، رسالة ماجستير في القانون، الاستاذ المشرف راشدي صابر، جامعة اكلي اولحاج البويرة،2015، ص 10.

[46] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 148.

[47] عبير حسن علي الزواوي، الأبعاد المستحدثة في الخيانة الزوجية عبر الإنترنت و المخاطر المحتملة على الأسرة المصرية، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، كفرشيخ، العدد الرابع، ص 215.

[48] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 278.

[49] لوسيان، غولدمان، العلوم الانسانية و الفلسفة، المترجم يوسف الانطكي،المجلس الاعلى للثقافة، 1996، ص 12.

[50] علي عبدالله شديد الصياح، بحوث ندوة الابتزاز، مركز باحثات لدراسات المرأة، رياض، 1432، ص 14.

[51] مجيد، آقايى، واكاوى جرم شناسانه ازدواج سفيد با رويكرد جامعه شناختى، پژوهش نامه اسلامى زنان و خانواده، ايران، سال هفتم، شماره 16، 1389 ،ص 116.

[52] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 241.

[53] سمير، التنير، الفقر و الفساد في العالم العربي، بيروت، دار الساقي، ط1، 2009، ص 46.

[54] لطفية، الدليمي، سيدات زحل، دار فضاءات، عمان، ط3، 2015، ص 55.

[55] المرجع نفسه، ص 100.

[56] عباس محمد رضا البياتي، عتبات البنيوية التكوينية و نقاط انطلاقها، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية جامعة بابل، العراق، العدد 25، 2016، ص 460.